دور قادة المسلمين في تعزيز الإبداع في مجتمعاتهم

The Role of Muslim Leaders in Promoting Creativity in their Communities

Peranan Pemimpin Islam dalam Mempromosi Kreativiti dalam Masyarakat

جمال أحمد بادي*

الملخّص

تناقش هذه الورقة مفهوم الإبداع من المنظور الإسلامي، وتبيّن أوجه اهتمام قادة المسلمين به وتعزيزهم له في مجتمعاتهم بدءا بنبينا صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم وغيرهم. وتحاول الإجابة عن بعض الأسئلة أهمها: كيف أسهم قادة المسلمين في تعزيز الإبداع في مجتمعاتهم على المستويات العلمية والسياسية والاقتصادية؟ وما دور البيئة المشجعة على الإبداع التي أوجدوها في تحفيز علماء المسلمين على الاختراع؟ وما أثر تلك الاسهامات في رقي مجتمعاتهم خاصة، وبقية المجتمعات والحضارات الأخرى على وجه العموم؟

الكلمات المفتاحيّة: إسلام، إبداع، علم، قادة، إسهامات.

Abstract

This paper discusses the concept of creativity from an Islamic perspective, and it shows the interest of Muslim leaders in creativity and its enhancement in their communities, starting with our Prophet (s.a.w.), the righteous caliphs, and others. The paper attempts to answer some fundamental questions, mainly: How did the Muslim leaders contribute to promoting creativity in their societies at the scientific, political and economic levels? And what was the role of prompting environment on the creativity that motivated Muslim scientists to invention? What was the impact of those

* أستاذ دكتور بقسم المعرفة الأساسية والدراسات البينية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

contributions on the advancement of their societies in particular, and other societies and civilizations in general?

Keywords: Islam, Creativity, science, leaders, contributions, inventions.

Abstrak

Kajian ini membincangkan konsep kreativiti menurut perspektif Islam dan menunjukkan keinginan para pemimpin Islam terhadap kreativiti dan peningkatannya dalam komuniti Islam, bermula pada zaman Rasulullah (S.A.W), para khalifah Islam dan seterusnya. Kertas kajian ini cuba merungkai persoalan asas terutamanya: Bagaimanakah sumbangan para pemimpin Islam dalam menggalakkan kreativiti di peringkat saintifik, ekonomi dan politik dalam masyarakat? Dan apakah peranan persekitaran terhadap kreativiti sehingga mendorong para saintis Islam untuk mencipta sesuatu? Apakah kesan daripada sumbangan tersebut terhadap kemajuan masyrakat Islam khususnya dan masyarkat dan tamadun lainnya ecara amnya?

Kata Kunci: Islam, Kreativiti, sains, pemimpim-pemimpin, sumbangan, ciptaan.

مفهوم الإبداع

إذا قيل: إنسان مبدع، وهذا عمل إبداعي، فما المقصود به؟

الإبداع في اللغة:

يقول ابن فارس: "الباء والدال والعين أصلان، أحدهما: إبتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال، فالأول قولهم: أبدعتُ الشيءَ قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله بديع السموات والأرض والعرب تقول: ابتدع فلان الرّكِيَّ إذا استنبطه".[1]

وفي اللسان يقول ابن منظور: "البديع المحدث العجيب، والبديع المبدع، وأبدعت الشيء: اخترعته لا عن مثال،... ورجلٌ بدعٌ، وامرأة بدعة، إذا كان غايةً في كل شيء كان عالما أو شريفا أو شجاعا".[2]

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م)، ج١، ص٢٠٩.

[2] محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٤١٤هـ)، ج٨، ص٦- ٧.

وقال أبو شامة: "أصل هذه الكلمة من الاختراع وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق، ولا مثال احتذي ولا ألف مثله، ... وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح".[٣]

والإبداع في الاصطلاح الحديث: "هو ملكة يتأتى من خلالها اكتشاف شيء جديد، لم يسبق إليه المبدع".[٤]

رؤية إسلامية في الإبداع

لا يخفي أن الإسلام دفع المسلمين إلى التعلم والتعليم لبناء الحضارة الإسلامية الشامخة –والتي من خلالها يتسنى لهم التفاعل مع أسباب وجودهم؛ وهي عبادة المولى عز في علاه بعد الإيمان به، وعمارة الأرض، – ثم هيأ كلَ ما يلزم ويمكِّنهم تحقيقَ ذلك الهدف المرسوم. ومن أهم ما يمكننا الاستدلال به على هذا، حياة النبي عليه السلام فكلها من أولها إلى أخرها مدرسة تعلم وتعليم كبرى[٥]، فأول ما بدئ به من الوحي قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:١-٥]، ثم أنه عليه السلام في لحظات أخيرة من حياته وقبيل وفاته قال فيما رواه البخاري عن ابن عباس: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده»[٦]، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على

---

[٣] أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة، **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، (القاهرة: دار الهدى، ط١، ١٩٧٨م)، ص٣.

[٤] أحمد بن علي القرني، **الإبداع العلمي دارسة تأصيلية** (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ)، ص١٧.

[٥] انظر: حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها** (دمشق وبيروت: دار القلم، ط٢، ١٩٨٠م)، ص٢٨٥.

[٦] أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، في **صحيحه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٣٤، رقم:١١٤.

حرص الإسلام الشديد في دفع المسلمين إلى التعليم والتعلم إذ أن تقدمهم ونجاحهم منوط بالعلم.

فمن النصوص التي تحث على التعلم والتعليم قوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:٥٣]. ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».[٧] «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع».[٨] فهذه النصوص كلها تفيد عموم ما دل عليه مصطلح العلم فتشمل كل المعارف التي تجلب الخير للعالم البشري وتجنبهم الفساد والشر الذي نهى عنه الشرع.

فمن هذه المعارف: "ما يكتسب عن طريق استخدام الحواس الظاهرة بشكل مباشر ... ومنها ما يكتسب عن طريق التأملات الفكرية، واستنتاج حقائق غير مدركة بالحواس، بواسطة استخدام الحقائق المدركة بها استخداما فكرياً مجرداً، كاستنتاج وجود القوة الكهربائية من رؤية المصباح الكهربائي مضيئاً.... ومن المعارف ما يكتسب عن طريق النقول والاخبار الصادقة، التي تشهد العقول بصدقها، أو تحكم برجحان ذلك.... ومن المعارف ما يكتسب عن طريق الوحي الذى يصطفي به الله أنبياءه ورسله."[٩]. ولذلك نجد أن الرسالة المحمدية موجهة للعاقلين العالِمين لأنها مجموعة من الحقائق المشهودة والغيبية والتشريعية، ومجموعة من البينات التعلمية والتربوية، وبما أنها مواد علمية يمكن ادراكها بالأدوات المعرفية، لهذا يبين القرآن في مواضع كثيرة أن هذه الرسالة لقوم

---

[٧] أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في **سننه** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٣٦٠. رقم: ٣٦٦٠.

[٨] أخرجه محمد بن عيسى بن سوْرة بن موسى الترمذي في **سننه**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م) ج٥، ص٢٩.

[٩] حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **أسس الحضارة الإسلامية**، ص٢٨٩-٢٩٠.

يعقلون، ولقول يعلمون، ولقوم يتفكرون، ولقوم يتذكرون[١٠]. قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[الروم:٢٨]، وقال: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٣]. هذه الآيات ونظائرها تدعو إلى التفكير والتأمل في الموجودات وجميع المخلوقات لدراسة آيات الله الكامنة فيها واكتشاف الأسرار المودّعة فيها، وبذلك يرسخ إيمان المؤمنين بالله ويزدادون تثبيتاً، وأما غيرهم ففيه حجة عليهم وبرهان. وعليه قول الشاعر:

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد

ومن الآيات التي تحث على العمل الإبداعي والاختراعي والانتاج الصناعي والعمراني: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة:٢٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْه**﴾ [الجاثية:١٣]. وأكثر الآيات صراحة في الإبداع ما يلي: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾ [هود:٣٧]، ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعلينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء:٧٩-٨٠]، وقوله ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سبأ:١٠-١١]. فهذا التسخير الإلهي للكون وما فيه للإنسان، شكّل مناخا مشجعا له على الإبداع.

اهتمام قادة المسلمين بالإبداع ودورهم في تعزيزه في مجتمعاتهم

اهتمّ قادة المسلمين بالإبداع اهتماماً بالغاً، وعززوه في مجتمعاتهم بل في الحضارة الإنسانية؛ حيث أنها حافلة بإسهاماتهم الإبداعية الغزيرة المفيدة، فعطاء هؤلاء السادات

[١٠] **المرجع السابق**، ص٣٠٨.

الحضاري للحضارة الإنسانية –بدون المبالغة– أكثر من أن يحصى، إذ يعتبر سر تقدم الحضارة الإنسانية، فالواقع في ذلك خير شاهد، ولم لا فالإسلام دين ودولة لذلك اشرقت شمسه وسطع نوره على وجه الأرض شرقاً وغرباً، رافعا راية العلم والمعرفة والهداية في تنظيم المجتمع البشري حتى تتحقق لهم مصالح الدنيا والآخرة، وحكمة جمع الإسلام بين المصالح هي أن اختلال واحدة منهما يقود إلى اختلال الأخرى، قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[القصص:٧٦] . وهذه المصالح في أعلى مراتبها (الضرورية) والتي يقول الشاطبي عنها بأنها: "إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين"[١١]. ومن أبرز دعائم تقدم المجتمع: العلم والمعرفة؛ فما ساد قوم إلا بتقدمهم العلمي والمعرفي وما تخلفوا إلا بجهل، وقديماً قيل: من خدم المحابر خدَمته المنابر، ولو أن هذا صادق فى حال هؤلاء القادة. فنجد أن الإسلام حث على العلم والمعرفة؛ لما لهما من شرف المكانة وعظيم المنزلة، ورغّب فيهما وشجّع على سلوك سبيلهما والإبداع فيهما باعمال العقل والتفكر، ويكفينا في هذا الصدد أن أول ما نزل على رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم كلمة (إقرأ) ولهذه الكلمة أبعادها، حيث تشمل كل العلوم الدينية والطبيعية بشرط أن تكون في إطار القيم الإسلامية، مهتدية بهديها.

فقد عزز الإسلام الإبداع بعد الحث على تحصيل العلم والمعرفة مستخدماً كلمات بعضها تدل دلالة واضحة على الإبداع وبعضها تلميحا عليه، والنصوص الشرعية الواردة في فضل العلم والمعرفة والتفوق فيهما أو الإبداع –من الكتاب والسنة– كثيرة كما سبق، وقد أدرَك قادة المسلمين اهتمام الإسلام بالإبداع فأولوه عنايتهم، حيث

---

[١١] إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ، **الموافقات فى أصول الشريعة**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (القاهرة: دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م)، ج٢، ص١٨.

كان لهم السبق في بعض العلوم الطبيعية والتمكنَ في البعض الآخر وذلك بالإضافة إلى العلوم الشرعية، فقد سجل التاريخ الاسلامي والحضارة الإنسانية إبداعاتهم التي تمثل عطاء حضارياً ضخماً، وحتى يتضح لنا جليا اهتمام قادة المسلمين فيما يتعلق بالإبداع وتعزيزه في مجتمعاتهم نعرض في هذا الصدد بعض نماذج عنهم وذلك في جميع مجالات الحياة، فلنبدأ أولاً بمن بدأ الله به الذكر وهو الحبيب المصطفى عليه السلام:

*كان صلى الله علىه وسلم –إلى جانب كونه نبياً مرسلاً– مبدِعا في جميع تصرفاته حتى قبل البعثة مع كونه أُمِياً لا يعرف الكتابة ولا القراءة، ولا غرابة في ذلك إذ الإبداع ملكة يكتسبها الانسان المثقف وغير المثقف، فلا يلزم أن يكون الإبداع حكرا على المتعلمين فقط، وواقعنا الراهن خير شاهد على ذلك، حيث أن أكثر المبدعين في العصر الحديث هم الذين لم يكملوا دراستهم الجامعية حسب الإحصائيات المبثوثة فى الشبكات العنكبوتية، وإن اشترط بعض الباحثين التخصصَ لاكتساب هذه الملكة، لكن قد يُبدع الانسانُ في غير تخصصه حيث يجد نفسه فيما لم يتخصّص فيه ويفقد شخصيته فى مجال تخصّصه.

إبداعاته عليه السلام في إرساء الألفة في المجتمع

أولاً يعد تصرفه صلى الله عليه وسلم بين القبائل في مكة لما حكموه في قضية رد الحجر الأسود إلى مكانه وموضعه عند بناء الكعبة إبداعا، حيث اختلفت قريش اختلافا شديدا فيمن يحق له وضع الحجر في مكانه فتحاوروا وتخالفوا، واستعدوا للقتال، واستمر الحال هكذا أربع ليال أو خمس حتى تم الاتفاق على تحكيم أول من يدخل من باب المسجد فشاء الله أن يكون هو أول من دخل، فهتفوا باسمه قائلين هذا الأمين رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر الأسود فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به

موضعه ، وضعه هو في مكانه بيديه الشريفتين، ثم بني عليه[١٢]. وكان لم يتجاوز وقتئذٍ خمسة وثلاثين عاما، وفي هذا يقول اللمطي:

ثم ابن خمس وثلاثين حضر ***** بناء بيت الله إذ بني الحجر

بيده الكريمة الزكية ***** صلى عليه خالق البرية.[١٣]

عبقريته صلى الله عليه وسلم في فن الحرب

ما كان النبي عليه السلام ليشن الحرب على أحد ممن تقصد محاربته إلا وقد سبق إليه عليه السلام خبر تخطيطهم للهجوم عليه وعلى أمته وحتى لا يأتيه الأمر بغتة ويعرض أصحابه للخطر كان يبادر بالمدافعة كما حدث في الخندق.

ثم أنه قائد فطن وخبير عسكري بصير في وضع استراتيجيات الحرب وخططها، ومن تتبع غزواته يدرك ذلك، وأنه عليه السلام يعتمد على ثلاثة خطط التي بها يعرف قوة العسكر:

١. اتخاذ الموقف الملائم.

٢. اختيار الفرصة.

٣. استعجال العدو قبل تمام استعداده.

والنبي لم يُسبق إلى هذه الخطط بل هو راسم لها ومداوم عليها مع أنه لا يبدأ بمحاربة الأعداء حتى يعزموا ويخطّطوا لمحاربته بعد نقضهم العهود، وعندئذٍ لا يمهّلهم حتى يهاجموه.[١٤]

---

[١٢] انظر: صفي الرحمن المبارك فوري، **الرحيق المختوم** (بيرت: دار الهلال، ط١، د.ت)، ص٥٢.

[١٣] عبدالعزيز بن عبد الواحد اللمطي المكناسي، **نظم قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار**، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي(٤٥)، ص١٣.

[١٤] انظر: عباس محمود العقاد، **عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٦٩م)، ص٥٣.

وبالإضافة إلى ما ذكر، تُدرك إبداعاتُه الحربية عليه السلام في أخذه المشورة في الخطط الحربية وحيل الدفاع، ومن ذلك ما صنعه ببدر حين أشار إليه الحباب ابن المنذر بالإنتقال إلى مكان غير الذى نزلوا فيه أول أمر ثم تعوير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل إله الأعداء، وقبوله لرأي سلمان الفارسي في حفر الخندق، وهذا مما تعرف به القيادة الرشيدة والناجحة.[١٥]

النبي عليه السلام والسياسة

تولى النبي عليه السلام مسؤليات كثيرة مما يمكن أن يطلق على عمومها كلمة السياسة بأبعادها المختلفة: من القيادة والعسكرية وشؤون الدولة الداخلية والخارجية وما إلى ذلك، وتتجلى براعته عليه السلام وابتكاره السياسي في صلح الحديبية، حيث تغلب على قريش في نيل مبتغاه سلمياً بدون أن يتعرض أحد من أتباعه للأذى، وتذكر القصة باختصار خروج النبي عليه السلام إلى مكة حاجاً لا غازيا يقول ذلك ويكرره وكانت معه قبائل مختلفة من العرب والأحباش من المسلمين وغيرهم، وبهذا سدّ الطريق على قريش فيما تعمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة النبي عليه السلام ورسالته. وانتصر عليهم من ناحية أخرى بما تعمدته قريش من محاولة إغضاب العرب على الإسلام، فاتهموه بقطع الأرزاق وتهديد الأسواق التي يعمرها ويستفيد منها الحجاج إلى مكة والعائدون منها، فها هو قاصد مكة وأخذ معه مئات من المسلمين وغيرهم من قاصدي بيت الله الحرام. وقد أحدث الأسلوب الدبلوماسي الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم البلبلة بين زعماء قريش وذوي الرأي فاختلفوا فيما بينهم بما جعلهم يرجعون أخيراً إلى التعاهد والتهادن، وبقبوله عليه السلام شروط المهادنة رجع إلى المسملين مواليهم، وفتح الله على المسلمين، وفي ذلك نزلت الآية: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ**

[١٥] **المرجع السابق**، ص٥٥-٥٦.

فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:١]، بيد أن كثيرا من المسلمين ما أدركوا هذا الفتح المبين الموعود به بعد –حيث ظنوا أن المشركين هم الكاسبون بشروط الهدنة– إلا في عام الفتح بعد الحديبية.[١٦]

وبعد نزول الآية سأل عمر النبي عليه السلام فقال : أهو فتح يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده)، وعلّق الخازن في تفسيره على هذا الحديث بقوله: " فيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية، وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل".[١٧]

النبي عليه السلام والإدارة

تتجلى الإدارة العليا في تدبير الشؤون العامة حينما تصطدم بالأهواء وتنازعها الفتنة، وتظهر إبداعات الرسول عليه السلام في هذا المجال جلية حيث ما عرضت له معضلة من المعضلات –قبل الرسالة أو بعدها– إلا أشار فيها برأي سديد وعقل سليم بما يعود على المجتمع والأمة بالألفة والمحبة والوئام، فهو مبدع في تدبير المصالح العامة وعلاج شؤون الجماعات. ونعرض في هذا الصدد بعض النماذج بالإضافة إلى ما تقدم في قضية الحجر الأسود:

١– في تولية أمور المجتمع، وضع صلى عليه وسلم الأسس التي إذا وُجدت في امرئٍ فهو أهل للتولية، وهي تتمثل في الكفاءة والرحمة يقول عليه السلام: "أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى عَشَرَةِ أَنْفُسٍ، عَلِمَ أَنَّ فِي الْعَشَرَةِ أَفْضَلَ مِمَّنِ اسْتَعْمَلَهُ ، فَقَدْ غَشَّ اللهَ، وَغَشَّ رَسُولَهُ، وَغَشَّ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي ضَرَبَ فَوْقَ الْحَدِّ، فَيَقُولُ : عَبْدِي لِمَا ضَرَبْتَ فَوْقَ مَا أَمَرْتُكَ ؟ فَيَقُولُ : غَضِبْتُ لَكَ ، فَيَقُولُ : أَكَانَ لِغَضَبِكَ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِي، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قَصَّرَ، فَيَقُولُ : عَبْدِي لِمَ قَصَّرْتَ ؟ فَيَقُولُ : رَحِمْتُهُ،

---

[١٦] انظر: العقاد، **عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم**، ص٨٧–٩٦.

[١٧] علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، **تفسير الخازن** (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م)، ج٦، ص٢١٣.

فَيَقُولُ : أَكَانَ لِرَحْمَتِكِ أَنْ تَكُونَ أَشَدَّ مِنْ رَحْمَتِي ؟ فَيُؤْمَرُ بِهِمَا جَمِيعًا إِلَى النَّارِ".[١٨] ومنه قوله لعبد الرحمن بن سمرة – رضي الله عنه – : قال : قال لي رسول الله –صلى الله علله وسلم– : «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيرا منها، فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك».[١٩] وروي أنه قال: «أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنه».[٢٠]

٢– تصرفه يوم هجرته إلى المدينة إذ استقبلته الوفود وتنافست في استضافته ونزوله عندها، ولايريد أن يحدث نزوله في محلة دون غيرها أو بيت دون غيره الغيرةَ في نفوس تلك الوفود بأن شخصاً منهم أفضل عند النبي من غيره.

صفحات مشرقة في إبداعات الخلفاء الراشدين

الخلفاء الرشدون (رضي الله عنهم) هم أفضل النماذج من الرجال في كل مجالات الخير بعد النبي عليه السلام، فهم صفوةٌ رُفعوا درجات سامقة بصحبة محمد (عليه السلام) ومحبتهم وولائهم له، وبها نالوا المفازات. فيجدر بنا أن نرتب أسماءهم حسب ترتيب فضلهم ومكانتهم عند أهل السنة، فنقدم من قدمه الرسول الكريم، وهو أبوبكر الصديق المسمى من عرش رب العزة على لسان نبيه بالصديق، كما ثبت أن عليا كان في خلافته يذكر على المنبر ويكرر مراراً: " إن الله سمّى أبابكر على لسان نبيه

---

[١٨] أبو العباس شهاد الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني، **إتحاف الخيرة المهرة، بزوائد المسانيد العشرة**، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، (الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، ١٩٩٩م) ج٤، ص٢٦١.

[١٩] أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، في **صحيحه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٨، ص١٤٧. رقم:٦٧٢٢.

[٢٠] أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، في **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت)، ج١، ص١١٥. رقم:٢١٠.

صدّيقاً "[٢١]. وتتمثل عبقرية الصديق وإبداعه في القيادة الناجحة، وإليك بعض نماذج منها:

١- قبل توليته للخلافة، يمكن عدُّ قدرته على إقناع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة إبداعا لمأَّ تنازعوا فيمن له أحقية خلافة الرسول، حيث أتي بكلامٍ نيّرٍ برَّد به قلوباً ساخنة من غير أن يعرِّض المسلمين للفتنة، فأثنى على الأنصار وذكر فضائلهم بما ثبت فيهم من الكتاب والسنة, ثم احتج بأن الله سمّاهم (المفلحين) وسمّى المهاجرين (الصادقين) إشارة إلى قوله تعالى: [للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من دياهم]، وأن الله أمر الأنصار أن يكونوا مع المهاجرين حيثما كانوا فقال [يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين]، فتذكرت الأنصار وانقادت إليه.

وكان له حظ كبير في تعبير الرؤيا بل هو مبدع فيها، حتى قال عنه محمد بن سيرين –المقدَّم في هذا العلم– :"كان أبوبكر أعبرَ هذه الأمة بعد النبي عليه السلام"[٢٢].

وفيما روي أن النبي علله أفضل الصلاة والسلام رأى رؤيا فقصّها على أبي بكر فقال يا أبا بكر، رأيت كأني استَبَقْت أنا وأنت درجة، فسبقتك بمرقاتين ونصف"؟ قال: خيرٌ يا رسول الله، يُبقيك الله حتى ترى ما يسُرّك ويقرُّ عينك. فأعاد النبي عليه مثل ذلك ثلاث مرات، وأعاد عليه مثل ذلك. وفي المرة الثالثة قال: يارسول الله يقبضك الله إلى رحمته ومغفرته، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً.

ومنه أيضاً، رؤيا عائشة بأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فلما قصتها على أبي بكر قال:" صدقت رؤياك ليدفنَّ في بيتك خير أهل الأرض ثلاثاً. فلما قبض النبي عليه السلام قال: يا عائشة هذا خير أقمارك".[٢٣]

---

[٢١] عبد الستار الشيخ، **أبوبكر الصديق أوّل خلفاء الإسلام** (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩١م)، ص٢٣-٢٤.

[٢٢] عبد الستار، **المرجع نفسه**، ص٦٠.

[٢٣] **المرجع نفسه**، ص٦٣.

٢- بعد توليته للخلافة، هو أول من جمع القرآن الكريم وسمّاه مصحفاً، يعد هذا من أولويات وأكبر انجازته وذلك حينما استحرَّ القتل بالناس يوم اليمامة، واقترح له عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع القرآن خشية أن يستحرَّ القتل بالقراء فيذهب كثير من القرآن، فلما أنكر عليه أبو بكر بأنه لا يفعل ما لم يفعله الرسول ألحّ عليه عمر معلِّلا ذلك بالخير حتى شرح الله قلب أبي بكر فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وعليه يقول على بن أبى طالب رضي الله عنه: يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين[٢٤]. وفي رواية عند الإمام أحمد وغيره: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبوبكر؛ إن أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين"[٢٥].

٣- يعد اتخاذ بيت المال من إبداعاته. هو أول من اتخذ بيت المال. أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي خيثمة وغيره أن أبابكر كان له بيت المال بالسنْحِ ليس يحرسه أحد. فكان يقسمه فقراء الناس فيسوي بين الناس في القَسْم.[٢٦]

فهذه النماذج كافية في بيان كيف عزز أبوبكر الإبداع في مجتمعه، وإلا لماَّ يأخذ برأي عمر في مسألة جمع القرآن، ثم في اتخاذه بيت المال غاية الإبداع حيث يصعب أن تنجح حكومة أو دولة ليس لديها صندوق مال في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية، وهذا من إسهامات الإسلام في فن القيادة وتأسيس الدولة.

* **عمر بن الخطاب:** هو ثاني الخلفاء الراشدين وأول من سمي بأمير المؤمنين[٢٧]، ويحتلّ المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ الإسلامي بعد النبي على قول

---

[٢٤] انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: حمدي الدمرداش، (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ٢٠٠٤م)، ص٦٢-٦٣.

[٢٥] أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني في **فضائل الصحابة**، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م)، ج١، ص٣٥٤. رقم:٥١٣.

[٢٦] انظر: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٦٤.

[٢٧] انظر: السيوطي، **المرجع نفسه**، ص٢٣.

الأكثرين[٢٨]، كان عبقريا مبدعا في تصرفاته وحركاته كثيراً ما يشاوره النبي ويأخذ برأيه، وكثيراً ما نزل القرآن موافقا لآرائه رضي الله عنه، فأوصل البعض المواقف التي وافق فيها القرآن رأيه إلى أكثر من عشرين موقفاً. ذكر السيوطي في (الخلفاء) ما أخرجه ابن مردوية عن مجاهد أنه قال: كان عمر يري الرأي فينزل به القرآن. وما أخرجه ابن عساكر عن علي أنه قال: إن في القرآن لرأياً من رأي عمر.

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم.[٢٩] من ابداعاته رضي الله عنه:

١- هو أول من كتب التاريخ الهجري في ربيع الأول سنة ١٦، وسبب ذلك كما ذكره العسكري في كتابه:" أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها يعمل. قد قرأنا صكاً منه محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين الماضي أم الآتي، فعمل عمر رضي الله عنه على كتب التاريخ، وأراد أن يجعل أوله شهر رمضان، فرأى أن الأشهر الحرم تقع حينئذٍ في سنتين، فجعله من المحرم وهو آخرها فصيره أولا لتجتمع في سنة واحدة"[٣٠].

٢- هو أول خليفة عيّن قضاة للفصل في القضايا بين الناس مستقلين عن الأمراء، وكان شريح بن الحارث الكندي من أولئك القضاة، عيَّنه عمر في الكوفة، وعيَّن قيس بن أبي العاص السهمى قاضيا في مصر[٣١]. وفي ذلك حكمة بالغة حيث أدرك عمر رضي الله عنه أن إدارة شؤون العامة أمر شائك جدا، وليس بإمكان الأمراء سد كل الجوانب مهما حاولوا، وإهمال جانب القضاء لا يأتي للدولة بخير سوى ارتكاب

---

[٢٨] انظر: حسين أحمد أمين، **المائة الأعظم في تاريخ الإسلام** (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت، د.ط)، ص٢٠.

[٢٩] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٩٩.

[٣٠] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، **الأوائل** (طنطا: دار البشير، ط١، ١٤٠٨هـ)، ص١٥١،

[٣١] الخضري بك، محمد، **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج٢، ص٨-٩.

الحرمات، بانتهاك حقوق الغير وانتشار الفوضي وتهديد الأمن العام، وحتى يتفرغ كل من القاضي والأمير لِما وكل به فرّق عمر بن الخطاب بين عملهما، وعلى هذا جرى نظام الأمم إلى يومنا هذا.

ويتضح فقه هذه الأولية في: (أ)" التدرج في تطوير نظام الدولة مع تطوير اتساعها ورقيها والحاجة إلى ذلك.

(ب) فصل سلطة القضاء عن الإمارة يعطى نظام القضاء نموا في تطويره وتعطى القاضي فرصة التزود بالعلم والخبرة والمكنة، ونشر العدل وإنصاف المظلومين في وقت قصير. كما تعطي الوالى تفرغا لإدارة وتطوير الولاية التى يحكمها"[٣٢].

٣- هو أول من اتخذ الدواوين، حيث دوّنها لتسجيل الأموال التي تدخل بيت المال لتوزَّع على المسلمين حسب قرابتهم من آل البيت وأسبقيتهم إلى الإسلام، وينفقها على المسلمين حسب احتياجاتهم على الوجه الأكمل. ويعد التنظيم الإداري في عهده من أعظم انجازاته.[٣٣]

٤- وهو أول من سنَّ قيام شهر رمضان، وجمع الناس على إمام واحد فى التراويح تفاديا لتشويش بعضهم على بعض، حيث أن الناس كانوا يصلون فرادى فى مسجد واحد، فقال: إني أرى لو جمعت هولاء على قارئ واحد لكان أمثل. وهو أول من عسّ بالليل. وأول من عاقب على الهجاء وذلك لماَّ هجا الحطيئةُ الزبرقان[٣٤] بعد أن استضافه وأكرمه في بيته، ولا تخفى حكمة هذا الحكم لِما في الهجاء من إدانة عِرض

---

[٣٢] غالب بن عبد الكافي القرشي، **أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء** (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٠م)، ج٣، ص٦٠.

[٣٣] انظر: أمين، حسين أحمد، **المائة الأعظم**، ص٢١.

[٣٤] انظر: العسكري، **الأوائل**، ص١١٣.

الآخرين. وهو أيضاً أول من اتخذ الدِّرة، وأول من مصر الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة والشام، ومصر، والموصل.[٣٥]

٥- وكان رضي الله عنه أول من قام بفتح قناة مائية بين بحر القلزم وبحر الروم -في مكانها الحالي- حيث سميت قناة أمير المؤمنين. قال القضاعي: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذي في حاشية الفسطاط فساقه من النيل إلى بحر القلزم فلم يأت عليه الحول حتى سارت فيه السفن وحمل فيه ما أراد من الطعام إلى مكّة والمدينة فنفع الله بذلك أهل الحرمين فسمّي خليج أمير المؤمنين[٣٦]. وذكر الكندي: أنّ عمرو بن العاص حفره في سنة ٢٣ هجريّة وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع"[٣٧].

فالأمر بفتح هذا الخليج من إبداعات عمر الجليلة وذلك ليتيسر النقل في البحر بدل اليابسة، وكان الحفر يمتد من الفسطاط إلى السويس، فأصبح مسلكا للتجار ينقلون عبره أغراضهم إلى أماكن نائية يتّجرون فيها، ولله در أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الساعاتي حيث يقول واصفاً لهذه القناة:

قف بالخليج فإنه أشهى بقاع الأرض ربعاً
رقصت له الأغصان إذ أثنى الحمام عليه سجعاً
متعطّف كالأيم ذعراً حين خيف فضاق ذرعاً.
متساويات سفنه خفضا، براكبها، ورفعا

---

[٣٥] انظر: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص١١٠.

[٣٦] انظر: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب، د.ط، د.ت)، ج٤، ص٤٣-٤٤.

[٣٧] انظر: عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي الكتاني، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم، ط٢، د.ت)، ج٢، ص٣٩.

مثل العقارب أقبلت فوق الأراقم، وهي تسعى[٣٨]

* **عثمان بن عفان** (ذو النورين) رضي الله عنه. ثالث الخلفاء الراشدين، ومن إبداعاته:

١- جمعه القرآن على حرف: هو أول من جمع الناس على مصحف واحد، وهذا العمل في غاية الإبداع ومن أهم إنجازاته، إذ ما كان عليه الحال في صدر الرسالة وحتى عصور الخليفتين أبوبكر وعمر أن الأمة تقرأ القرآن بلهجات مختلفة، وأجاز الرسول ذلك فقال [أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاك]، فندر حدوث الاختلاف بين الصحابة في القراءة أو أن يغلط بعضُهم البعض فيها إلا ما روي في رجلين وفصل بينهما الرسول وقال:[كلاكما محسنٌ]. وبعد أن كثرت الفتوحات ونقل إلى عثمان اختلاف الناس في القراءة من الأمصار، فزع حذيفة من ذلك خشية أن يؤول هذا الاختلاف إلى ما آل إليه اختلاف اليهود والنصارى في الكتاب، فلما سمع عثمان بهذا النبأ المفزع أمر بتدوين المصاحف بلسان قريش، فإنما القرآن نزل به[٣٩].

فبهذه العقلية الفذة المبدعة وضع عثمان رضي الله عنه حدا للخلاف ولولا ذلك لكان وبالا على الأمة وقضاء على القرآن، وصدق الله جل في علاه حيث يقول: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[الحجر:٩].

٢- وهو أول من أمر بالأذان الأول يوم الجمعة، وأول من جدد بناء المسجد النبوي على أسلوب جديد في ربيع الأول، وزاد على طوله وعرضه وجعل عمده من حجارة فيها رصاص، وسقفه صاجا. فكل هذه الأعمال دالة على عبقريته رضي الله عنه.

---

[٣٨] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٣٨٦.

[٣٩] عبد الستار الشيخ، **الخلفاء الراشدون حياة ماجدة وأعمال خالدة** (دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٥م)، ص٣٤٦-٣٤٩.

٣- عبقرية عثمان في القيادة والشورى: رسم عثمان بن عفان معالم واضحة للقيادة الراشدة ووضع أسس الشورى العملية في دعوته أمراء الأجناد إلى القمة لما أنكر عليهم رعيّتُهم وطالبوه بعزلهم وتبديلهم بأمراء آخرين ممن يرضون، فلما وصلوا إليه قال لهم:" إن لكل امرىء وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم ... فاجتهدوا رأيكم، وأشيروا علي". فصنيعه هذا إبداعي حيث قرّبهم وخاطبهم في قضية شائكة تهدد دولته بلطفٍ وشفقةٍ بدلا من تنفيذ ما يطلب الثوار فعله، أو ما اقترح عليه بعض الأمراء من استئصال الثوار، فاستمع إلى مشورتهم، وبعد أن أدلى كل منهم بدلوه في القضية، أخذ الأمور مأخذ السماحة بأن رجع الأمراء إلى عملهم، وألف قلوب أولئك الجنود بالمال، ثم أمر بأن يبعثوا إلى الغزو وهذا هو القرار الأنسب للجيوش بدلا من تعطيلها، فهكذ عاد الاستقرار في الأمصار إلا الكوفة؛ امتنع أهلها من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص واستبدلوه بأبي موسى الأشعري، ولم يشدد عليهم عثمان رضي الله عنه بل استجاب لمطالبهم حرصا على وحدة الأمة، ومما كتب إليهم بعد ذلك :" ولنصبرن، كما أمرنا، حتى تبلغوا ما تريدون".[٤٠]

٤- عثمان والمؤسسة القضائية: اعتنى عثمان بن عفان بالقضاء أكثر من سابقيه من الخلفاء، وثبت في التاريخ أن من مآثره اتخاذه داراً للقضاء، حيث كان القضاء في عهد الخليفتين قبله ينعقد في المسجد.[٤١] وكان أول عمل بدأ به فى عهده قضية القتل، والتي تورّط فيها عبيد الله بن عمر بن الخطاب منتقماً من قتلة أبيه ابن الخطاب، فقتل ابنة أبي لؤلؤة وجنيفة نصراني، والهرمزان اتّهمه بأنه ساعد القتلة في اغتيال عمر، وثبت أن عمر أمر بحبس عبيد الله بعد ما سمع برد فعله. وبعد أن تولى عثمان الخلافة نظر في قضيته فأفتي علي بن أبي طالب بالقصاص، لكن عثمان بن عفان أبدا

---

[٤٠] انظر: محمود شلبي، **حياة عثمان** (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٨١م)، ص٢٤٠-٢٤٦.

[٤١] انظر: علي محمد الصّلاّبي، **سيرة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان شخصيته وعصره** (القاهرة: مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠٠٦م)، ص١٤٥.

عبقريته في تصرفه في القضية فلم يأخذ برأي علي، بل مال إلى قول عمرو بن العاص: بأن الله قد برأه؛ إذ القضية لم تكن في أيامه، فودي[٤٢] أولئك القتلى من ماله وخلّى سبيل عبيد الله.[٤٣]

* **الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** هو رابع الخلفاء الراشدين وأول خليفة من بني هاشم، وهو أيضا أول من فرق الخصوم[٤٤]، ورغم عدم استقرار الدولة وانتشار الفوضي والفتنة في عهد سيدنا علي رضي الله عنه، إلا أن الإبداع سجيته وطابع الخلفاء الباقين، وتعزيزه في المجتمع سعيُهم، فما قاموا بأي تصرف إلا كان حافلا بالإبداع. لذلك، لم تمنع الأوضاع الاستثنائية المذكورة عليا من صنع الإبداع وتعزيزه في رعيّته، ومن إبداعاته رضي الله عنه:

وضع علم النحو: إليه رضي الله عنه يعود فضل وضع اللبنة الأولى لعلم النحو وتأسيس النواة الأولى له على المشهور عند أهل العلم، فقد دخل عليه أعرابي فقال:" يا أمير المؤمنين، كيف تقرأ هذا الحرف: لايأكلها إلا الخاطون، كلٌ والله يخطو؟ فتبسم علي وقال: ﴿ **لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾ [الحاقة:٣٧]، قال: صدقت يأمير المؤمنين، ما كان الله ليُسلم عبده. ثم قال: لأبي الأسود الدؤلي إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم، فرسم له الرفع والنصب والخفض[٤٥]. وفي كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل ذكر السيوطي بأن أبا الأسود الدؤلي دخل على علي رضي الله فرآه مطرقاً مفكراً، فقال: فيم تفكر يا أمير المؤمنين، فقال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية،... قال: فلما أتيته بعد ثلاث فألقى

---

[٤٢] ودى: أي دفع دية القتلى.

[٤٣] انظر: الصّلاّبي، علي محمد، **سيرة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان شخصيته وعصره**، ص١٤٦.

[٤٤] انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، **كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل** (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٣م)، ص١٨٨.

[٤٥] انظر: الشيخ، عبد الستار، **الخلفاء الراشدون حياة ماجدة وأعمال خالدة**، ص٤٩٦.

إلي هذه الصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولافعل، ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر"ألخ[٤٦].

وقال بعضهم بأن أبا الأسود دخل على علي وكان يقرأ رقعة رسم فيها شيئاً من قواعد اللغة العربية فقال له: ما هذه؟ قال علي: إني تأملت كلام العرب، فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم، فأردت أن أصنع شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه. ثم قال لأبي الأسود: الكلام على ثلاثة أضرب ، اسم و فعل و حرف ، و تلا عليه شيئا من أصول النحو ، ثم قال له انحُ هذا النحو.

وعلى أية حال هذا العمل إبداع علمي قدمه الإمام إلى المجتمع ثم حرك أبا الأسود بإكمال ما يصلح أن يكون في هذا المجال فتوارثه الناس جيلا بعد جيل حتى تطور إلى ما تطور إليه الآن.

* **عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين:** قام عمر بالأعمال التجديدية والإصلاحية العديدة والتي بها يستحق صفة المجدد الأول في الإسلام، وهذا ما أكثر أهل العلم على أنه من الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٤٧]، ومن الذين أطلقوا عليه ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري والإمام أحمد بن حنبل. من خلال سيرة حياته رسم العلماء صفات المجدد، حيث قام عمر بتصحيح الانحرافات التي أصيبت بها الأفكار والسلوكيات في زمانه حتى أرجع وقته إلى وقت الخلفاء الراشدين بمعالم إصلاحية في الحكم تتمثل في الشورى، والأمانة، ومبدأ العدل، وإحياء مبدأ الأمر

---

[٤٦] السيوطي، **كتاب الوسائل**، ص٢١٣.

[٤٧] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، ج٦، ص٣٢٤.

بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا ما جعل بعض العلماء يعده خامس الخلفاء الراشدين. كان عمر غزير العلم والمعرفة، وكان من علماء التابعين المجتهدين إلا أن انشغاله بشؤون الدولة وشعوره بالمسئولية قلّل نشاطه الاجتهادي، فلذلك فسح المجال لعلماء عصره لنشر العلم والمعرفة وهيأ لهم الأسباب المادية والمعنوية التي تساعدهم على تحقيق هذا الهدف المرسوم حتى تكون البيئة ملائمة للابداع. فقرب العلماء وأشركهم في إدارة دولته وإصلاح بيئته فأقبلوا عليه وعاونوه في حمل عبء المسئولية الملقاة على عاتقه، وقالوا كما ذكر ابن عساكر: "ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله".[٤٨] وقد نصّب عددا كبيرا منهم على مختلف الأقاليم، ورعاية بيت المال، وبعث منهم نخبة إلى مشارق العالم الإسلامي ومغاربه لنشر حركة العلم والدعوة. ومن إبداعاته –رضي الله عنه– أنه:

١– هو أول من جمع الأحاديث والسيرة النبوية المطهرة وأمر بشرحها ودراستها وذلك لتقوية التعاليم الإسلامية واللغة العربية ونشرها في جميع الأمصار.

٢– إغناؤه المحتاجين عن المسألة: اهتم عمر بجميع القطاعات وأشرف بنفسه على اقتصاد الدولة، وعمل بما يساعد على نموه حتى فاضت صناديق الدولة فكان يدفع منها مهور الزواج ويعطى منها للمحتاجين، فأصبح لديهم ما يتجرون فيه، حتى قيل: أنه لما قدم عليه بعض أهل المدينة جعل يسألهم ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قال: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله. ثم قال: من أولئك المساكين من يبيع الخبط للمسافرين، فالتمس ذلك منهم بعد، فقالوا: أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر بن عبد العزيز[٤٩].

---

[٤٨] علي محمد الصّلّابي، **عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشد على منهاج النبوة**، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٦م)، ص١٦٣–١٩٧.

[٤٩] الصّلّابي، **المرجع نفسه**، ص١٨٠–١٨١.

٣- سياسته الاقتصادية: اهتم عمر بن عبد العزيز بالنواحي الاقتصادية كإصلاح كثير من الأراضي الزراعية، وإقراض المزارعين، وحفر الآبار، وشق الطرق، وتوحيد المكاييل والموازين في جميع أنحاء الدولة الأموية وكان هدفه وراء هذا التخطيط إعادة توزيع الدخل والثروة بشكل عادل، وتحقيق التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية، ولعمر وسائل عديدة لتحقيق أهدافه الاقتصادية منها:

(أ) توفير المناخ المناسب للتنمية[٥٠]: بما في ذلك رد الحقوق لأصحابها فتوفر أجواء الأمن والطمأنينة. ثم فتح الحرية الاقتصادية المقيدة: فقد أكد عمر هذا المبدأ بكتاباته إلى عماله حيث قال: وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدعى الناس إلى الإسلام كافة وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر ولا يمنعون، ولا يحبسون. وكتب إليهم أيضاً: أطلقوا الجسور والمعابر للسابلة يسيرون عليها دون جُعْل.

(ب) اتباع سياسة زراعية جديدة[٥١]: هذه السياسة هي عبارة عن الخطوات التي تهدف إلى زيادة الإنتاج الزراعي للأمة. وذلك بمنعه بيع الأرض الخراجية، وعنايته بالمزارعين وتخفيف الضرائب عنهم! قام عمر بعد توليته للخلافة بإلغاء جميع الضرائب المخالفة للشريعة التي وضعها بعض الخلفاء الأمويين لإرهاق المزارعين، فقرر وضع الضريبية حسب الأسعار الفعلية وكتب إلى العمال في ذلك. كما شجع عمر على إحياء أرض الموات والإصلاحات والإعمار، فكتب إلى عماله: من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث، مالم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم، أو أحيوا بعضاً وتركوا بعضاً، فاجز للقوم أحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث.

ومن ذلك توفيره البنية التحتية: فقد كان لعمر اهتمام بالغ بهذه المشاريع منذ كان أميراً على المدينة، وبعد ما أصبح خليفة المسلمين زاد اهتمامه بتوفيرها لخدمة

---

[٥٠] الصّلّابي، **عمر بن عبد العزيز**، ص٢٦٩.

[٥١] **المرجع نفسه**، ص٢٧٠-٢٧٣.

التجار والمزارعين والمسافرين، وحفر الآبار في المدينة فحفر منها بئر الحفير واستمر في حفر خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر، وأنشأ الفنادق ودار الضيافة للحجاج والمسافرين[٥٢].

والخلاصة كان عمر مبدِعا في جميع المجالات خاصة في مجال القيادة والإدارة العليا، وما حكم الدولة إلا سنتين ونصف أو ثلاثين شهرا لكن إنجازاته ملئت الدنيا. وانشغل عمر بشؤون الرعية وحمل همومها حتى أنساه ذلك رغباته الشخصية، في وقته عمّ الرخاء والسخاء البلاد، وعاش العباد في رغد من العيش حتى إنّ الرجل كان ليُخرج الزكاة من أمواله فيبحث عن الفقراء فلا يجد من في حاجة إليها. ونظّم دولته تنظيما رائعاً وكانت الدولة في رأيه لا تصلح إلا بأركانها الأربعة : الوالي ، والقاضي ، وصاحب بيت المال، والخليفة وفي هذا يقول: إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا. فبهذا المنهج القويم قرّب بين طبقات المجتمع، وغرس فيهم روح الإبداع.

* **عبد الملك بن مروان**: هو خامس خلفاء بني أمية وكان مبدعا في السياسة والإدارة، ومن انجازاته أنه خصص للدولة في عهده عملة إسلامية من الدنانير الذهب والدراهم الفضة، عليها (باسم الله) وآيات من القرآن، بدلا من الدنانير الرومية المعمول بها من قبل والتى تحمل علامة الصليب[٥٣]، وعرّب الدواوين حتى يستطيع أن يشرف عليها، ثم جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة.[٥٤]

---

[٥٢] **المرجع السابق**، ص٢٧٤.

[٥٣] انظر: أمين، حسين أحمد، **المائة الأعظم**، ص٣٤.

[٥٤] انظر: محمد عبد العظيم أبو النصر، **الدولة العباسية التاريخ السياسي والحضاري**، (القاهرة: شركة نوابغ الفكر، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٨.

عبقريته في تنظيم الدولة: نظم ابن مروان دولته متفردا بالسلطان والسيادة، حيث نظم الحكم تنظيما دقيقا، وركز على ثلاثة دعائم التي هي أهم معالم التطوير الإداري في عهده:

١- دواوين الدولة: هي الأسلاك التي تدير دفة الحكم والأمة.

٢- الولاة: هم الذين ينقذون سياسة الدولة ويضبطون الملك.

٣- البريد: هو الذي يوصل بين أطراف الدولة. فأنشأ ديوان الرسائل، وديوان العطاء، وديوان الخاتم، وديوان الطراز، وديوان البريد. ثم قام بتعريب تلك الدواوين لإزالة النفوذ الأجنبي من مؤسسات الدولة الإدارية والمالية ونظم إدارة الأقاليم بنظرة تغير الحياة وتطورها بمختلف أوجهها.[٥٥]

ما يستفاد من هذه النماذج

يتضح لنا جلياً كيف كان السلف الصالح مبدعين في إدارة شؤون مجتمعاتهم بما يدفعها نحو التقدم ويعود لها بالخيرات، فإن دلّ منهم هذا على شيء فإنما على عمق تفكيرهم ونضج ذكائهم في حثِّ الأمة على التفكير الإبداعي وتعزيز الإبداع في نفوسها، لأنهم على علم بأن من دعائم تقدم المجتمع الإبداع والذى من مقتضياته التفكير، وكان كلهم على هذا الطابع الحميد حتى قال بعضهم في أبي ذر:" كان أكثر عبادة أبي ذر التفكر."

ويبدو واضحا أن ما يريده السلف وراء تعزيزهم الإبداع في المجتمع هو تكوين إنسان المستقبل؛ وإنسان المستقبل كما عبّر عنه أحمد زويل:" هو ابن المعرفة التي تحقق

---

[٥٥] انظر: الصلابي، علي محمد، **الدولة الأمويّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار** (بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٥م)، ج١، ص٦٥٧-٦٦٦.

التقدم العلمي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ولولا التفكير والإبداع ما تميز الإنسان عن الحيوان ولتساوى معه كما تساوى معه جينيا بنسبة ٩٩,٩% فالفرق الوحيد لصالح الإنسان هو رغبته في المعرفة"[٥٦].

تهيئة السلف البيئة الملائمة للإبداع

قد حقق الله أمنية قادة المسلمين الأوائل فيمن أتوا بعدهم بمرور السنين، حيث توارث القادة والعلماء تلك الهمم العالية والأهداف السامية، فسعوا لتحقيق المجد للعالم الإسلامي بما أسهموا به من الإنجازات الفذة في تاريخ البشرية والحضارة الإنسانية، فأصبحوا ذلك الإنسان المتحضر بانجازاتهم العلمية ومبتكراتهم في حقول العلم المتنوعة، وكل من وقف على سير هؤلاء الأفذاذ الجهابذة لا يخالجه شك تأثر النهضة الأروبية بالإبداع العلمي الإسلامي وثقافته، فالمخطوطات العربية التي ترجمها رواد عصر النهضة الأروبية والتي مازال بعضها في متاحف ومكتبات العواصم الأوربية شاهدة على أن الصرح العلمي الشامخ للغرب اليوم مدين للحضارة الإسلامية وروادها العباقرة.

كيفية إيجاد قادة المسلمين البيئة الملائمة للإبداع

كان أول ما هيأ به النبي عليه السلام بيئته للإبداع لِين جانبه ورفقه وشمائله ومحاسن أخلاقه؛ مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فمهما كان الإنسان مبدِعاً إن عجز عن غرس هذه الروح في الآخرين فلا جدوى من إبداعه حيث يعيش إبداعُه لفترة قليلة ثم يندثر.

---

[٥٦] القرني، أحمد بن علي، **الإبداع العلمي**، ص١١.

ومن ذلك تدريسه الصحابة ما هم بحاجة إليه لإصلاح دينهم ودنياهم؛ حيث تمثّل المسجد النبوي المدرسة الأولى فى الإسلام لإعداد الدعاة والمثقفين والمفكرين، فتخرج منها النجباء والعباقرة الذين استنار العالم بأسره بإبداعاتهم العلمية والفكرية والقيادية.

ومنه إتاحته فرصة الاجتهاد للصحابة: حيث فتح عليه أفضل الصلاة والسلام باب الاجتهاد للصحابة رضوان الله عليهم على نطاق واسع، فكانوا يجتهدون حتى في حضرته فيقرّ لهم ما وجده صائبا، ومن هنا وضع العلماء السنة التقريرية وأمثلة ذلك كثيرة في كتب الأصول والفقه وفي السنة، منها حديث بني قريظة. ومن ذلك تعيينه الولاة والقضاة الأكفاء في الأمصار، فبعث معاذا إلى اليمن، وكان عليه السلام يمتحنه قبل توليته فقال: «كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ». قال أقضى بكتاب الله. قال « فإن لم تجد فى كتاب الله ». قال فبسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. قال « فإن لم تجد فى سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا فى كتاب الله ». قال أجتهد رأيى ولا آلو. فضرب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صدره وقال « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله »[٥٧].

وعلى هذا النهج سار الصحابة رضوان الله عليهم في إنشاء البيئة المناسبة للإبداع. فنجد في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحركات العلمية والدعوية شاهدت نشاطا كبيراً؛ حيث اتخذ عمر:" عاصمة الدولة مدرسة يتخرج منها العلماء والولاة والقضاة، فنشطت تلك المدراس في مكة والمدينة والبصرة والكوفة ومصر، وأشرف عليها الصحابة الكرام علي تعليم وتربية الناس فيها، واستطاعت تلك المدارس أن تخرج كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة ساندت المؤسسة العسكرية التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب"[٥٨]. فهكذا استطاع علماء الصحابة أن ينشئوا أجيالا

---

[٥٧] أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في **سننه** (بيروت: دار الكتاب العربي د.ط، د.ت)، ج٣، ص٣٣٠. رقم: ٣٥٩٤.

[٥٨] الصّلاّبي، علي محمد، **عمر بن عبد العزيز**، ص١٩٧.

من أبناء البلدان المفتوحة توارثوا علم الكتاب والسنة منهم، حتى أصبحوا بعد عصور الصحابة رواد حركة العلم، ينقلون علوم الصحابة إلى الأمصار. ومن أهم تلك المدارس:

مدرسة الشام: نشأت في عهد الفاروق وأشهر مؤسسيها من الصحابة، معاذ بن جبل، –وأبو الدرداء– وعبادة بن الصامت. ومن التابعين الذين قاموا عليها بعد الصحابة، الإمام الفقيه أبو إدريس الخولاني، وعائذ بن عبد الله (قاضي دمشق وعالمها)، روي عن أبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهما،– والفقيه قبيصة بن ذؤيب الدمشقي: روي عن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء وغيرهما، – ورجاء بن حيوة الفلسطيني: (شيخ أهل الشام) حدث عن معاذ بن جبل وأبي الدرداء وغيرهما،– ومكحول الشامي الدمشقي: عالم أهل الشام وهو من أقران الزهري، سمع من واثلة بن الأسقع وغيره، – وعمر بن عبد العزيز: وهو من علماء المدرسة الشامية والمدينة، وكان معروفاً بالفقه بصيرا بالسنة.[٥٩]

المدرسة المدنية: كانت المدينة عاصمة الخلافة بعد انتقال النبي إلى رفيقه الأعلى، وبما أنها مقر الوحي كثر فيها الصحابة حيث بلغ عدد فقهائها المفتون في عهد عمر بن الخطاب ١٣٠ صحابياً، أشهرهم: عمر وعلي وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومن أشهر التابعين الذين ورثوا فقههم: سعيد بن المسيب،– وعروة ابن زبير،– وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الأنصارية، ونافع مولى ابن عمر وغيرهم.[٦٠]

المدرسة المكية: كانت الحركة العلمية قليلة في مكة أيام الصحابة وكثرت في أواخرها إلى أيام التابعين، ومن علمائها ابن عباس، وابن جريج، وابن نجيح، ومن أشهر علماء التابعين الذين نبغوا على يد هؤلاء: مجاهد بن جبر المكي: أخذ الفقه والتفسير عن ابن عباس،– عكرمة مولى ابن عباس: كان من أعلم التابعين، وروي عن علي بن أبي

---

[٥٩] انظر: الصّلاّبي، علي محمد، **المرجع السابق**، ص١٩٨–٢٠٠.

[٦٠] **المرجع نفسه**، ص٢٠٠–٢٠١.

طالب، وابن عباس، وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وابن عمرو وغيرهم,- عطاء بن أبي رباح: مفتي الحرم وأحد فقهاء الأمة روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة وعائشة وابن عمر وابن عمرو وجابر ومعاوية وغيرهم.[٦١]

وفي عهد ابن عبد العزيز: استمرت تلك الحركات العلمية في جميع البلدان التي امتدت إليها الدولة الإسلامية في عهده، فجعل يحض العلماء على نشر العلوم واتخذ المساجد مراكز للتعليم، وحث الأمة على التعليم والتعلم بالقول والفعل كما وجهها إلى أهمية العلم، وساند أهل العلم بكل ما يحتاجون إليه ماديا ومعنويا حتى أصبح لا مفر لأي فرد في الدولة سوى أن يكون عالما أو متعلما، يقول رضي الله عنه: «إن استطعت فكن عالما فإن لم تستطع فكن متعلما، وإن لم تستطع فأحبهم، وإن لم تستطع فلا تبغضهم».[٦٢] كما روي عن جعفر بن برقان الرَّقي أنه قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: "أما بعد فمُرْ أهل الفقه والعلم من عندك، فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم"[٦٣]. فأرسل العلماء إلى الأمصار والبوادي ليفقهوا أهلها شرع الله ويعلموهم الدين، وبعث عدداً كبيراً من العلماء الربانيين إلى شمال أفريقيا منهم: بكرة بن سوادة الجذامي، أبو ثمامة (ت١٢٨هـ بإفريقية) حيث أقام أكثر من ثلاثين سنة في الشمال الإفريقي محدثا ومفتيا وفقيها. — ومنهم جُعثلُ بن عاهان الرُّعيني القتباني، أبو سعيد، كان محدثاً وفقيهاً ومقرئاً (ت حوالي١١٥هـ). — سعد بن مسعود التجيبي: أبو مسعود، يروي عن كثير من الصحابة منهم أبو الدرداء، سكن القيروان وتوفي فيها[٦٤]. وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكرهم.

---

[٦١] الصّلاّبي، علي محمد، **عمر بن عبد العزيز**، ص٢٠١-٢٠٣.

[٦٢] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، (القاهرة: مؤسسة الريان-دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٤م)، ج١، ص١٤٢.

[٦٣] **المرجع نفسه**، ج١، ص٢٤٣.

[٦٤] الصّلاّبي، **المرجع نفسه**، ص٢٥٩-٢٦٣.

وهناك طريق آخر سلكه قادة المسلمين وأئمتهم في تهيئة مجتمعاتهم للإبداع، وهو أن يبدى واحدٌ منهم رغبته في علمٍ ما سواءً سُبِق إليه فيُطوِره، أو لم يُسبَق إليه فيَبْتكِره ثم يُرغِّب الناس إليه بتعليمهم إياه أو حثِّهم على البحث والتدوين فيه، وهذا المنهج طبقه أكثر قادة المسلمين وعلماؤهم في اختراع مختلف العلوم والفنون التي ندرسها اليوم مثل علم النحو، وعلم الأصول، والمدونات الفقهية، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وما إلى هنالك.

فعلم النحو قد سبق الحديث عن ابتكاره من الإمام علي رضي الله عنه، وفي تكليفه لأبي الأسود بإكماله دلالة واضحة في حث مجتمعه على الإبداع.

تدوين الفقه والحديث: قد سلك أيضاً مثل هذا الطريق –تقريبا– الخليفة المنصور في طَلَبِه من الإمام مالك بتدوين كتابا في الفقه يرجع إليه الجميع، فوضع مالك رضي الله عنه كتاب الموطأ في الفقه والحديث.

علم الأصول: لا يخفي أن أول من ألَّف فيه هو الإمام الشافعي رضي الله عنه إجابة لطلب شيخ المحدثين بالعراق عبد الرحمن بن مهدي أن يضع له كتاباً يحتوي علي معاني القرآن الكريم وقبول الأخبار وحجية الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، وفيما بعد، طوره العلماء بعده حتى أصبح علما مستقلا بذاته بتنوع مباحثه. وهذا الطلب من المهدي منهج جديد في إيجاد البيئة الملائمة للإبداع.

الكيمياء: يعد علماء المسلمين رواد هذا العلم، وإسهاماتهم فيه لا غنى عنها لكل من يتخصص في هذا الفن، ولم يكونوا مجرد نقلة بل ناقشوا مبادئه وطرحوا زائفه ثم أرسوا القواعد وكرسوا الأسس التي تَعضده التجربةُ فأصبح لهذا الفن آفاق جديدة بما ابتكروه وأضافوه. ومن شهادة الغرب على هذا يقول درابر:"إن المسلمين هم الذين أنشأوا في العلوم العملية: علم الكيمياء، وكشفوا بعض أجزائها المهمة، من اختراعاتهم (ماء الفضة) حامض النيتريك، وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيتر وهيدروكلوريك) وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليماني (كلوريد الزئبق) وملح

البارود (كربونات البوتاسيوم) والزاج الأخضر (كبريتات الحديد)، وهم الذين اكتشفوا الكحول والبوتاس وروح النشادر والزرنيج والإثمد والقلويات. وهم الذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية وصنع العقاقير، فكانوا أول من نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدنية وتقنية المعادن وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي تقوم علىها معظم المصنوعات الحديثة كالصابون والورق والحرير والأصباغ..الخ"[٦٥]. وكيفية تكوين هؤلاء القادة المجتمع الإسلامي للإبداع في هذا الفن كما يلي:

انشغال قادة المسلمين بالكيمياء وتدريسهم إياها: أولاً: منهج التأليف؛ يعد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي أول من اشتغل بالكيمياء، وقد أتقنها وألّف فيها رسائل، و انشغل أيضا بالعلوم الأخرى مثل الطب والنجوم ويعد أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء كما ذكر الجاحظ، ومن تصانيفه: ديوان النجوم ورسالة الكيمياء.[٦٦]

ثانياً: منهج التدريس: يعتبر الإمام جعفر الصادق (هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أي طالب). ثاني المنشغلين في علم الكيمياء، له تأثير كبير في تقدم هذا العلم، ولما لهذا الفن من فوائد كان يدرس تلامذه علم الكيمياء في مدرسته، ومن الذين نبغوا على يده في هذا الفن أبو موسى جابر بن حيان الطرطوسي، وقام بجمع رسائل الإمام في كتاب يحتوي على ألف ورقة.[٦٧]

بمثل هذه المناهج المشجعة أصبحت بيئة المجتمع الإسلامي ملائمة للإبداع، وأنتجت رواد هذا الفن وغيره من الفنون المفيدة والصالحة للمجتمع، أمثال الرازي، وابن حيّان، وابن الهيثم، وأبو الفتح الخازني، وغيرهم من عباقرة العلوم، نتيجة تهيئة أولئك القادة مجتمعاتهم للإبداع وتعزيزهم إياه.

---

[٦٥] عكاوي، رحاب خضر، **موسوعة عباقرة الإسلام** (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.)، ج٤، ص٧-٨.

[٦٦] عكاوي، رحاب خضر، **موسوعة عباقرة الإسلام**، ج٤، ص١٣-١٨.

[٦٧] **المرجع نفسه**، ص١٩-٢١.

خاتمة

يتجلى لنا من استعراض سيرة نبينا، وقائدنا، محمد صلى الله عليه وسلم، وسير قادة المسلمين، أثر جهودهم الإيجابية في تعزيز وتشجيع الإبداع في المجتمع المسلم عبر عصور التاريخ الإسلامي، وإسهام تلك الجهود في إيجاد البيئات الملائمة، لظهور عباقرة ومبدعين، كان لجهودهم دور فعّال في رقي تلك المجتمعات وتطوير مؤسساتها وأنظمتها المختلفة.

توصيات

بناء على النتائج التي توصلت إليها، توصي الدراسة بما يلي:

١. الإفادة من تجارب القادة المسلمين عبر التاريخ، لإيجاد بيئات مماثلة في البلاد الإسلامية لتشجيع الإبداع، وصناعة المبدعين.

٢. إجراء دراسات علمية، حول مناهج علماء الإسلام وإبراز إبداعاتهم في تطوير العلوم الشرعية، والإنسانية والتطبيقية المختلفة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي. **الموافقات فى أصول الشريعة**. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. القاهرة: دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط. د.م: مكتبة الحلواني وآخرون، ١٩٦٩ -١٩٧٢.

أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

أبو العباس شهاد الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني. **إتحاف الخيرة المهرة، بزوائد المسانيد العشرة**. تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي. الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، ١٩٩٩م.

أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة. **الباعث على إنكار البدع والحوادث**. تحقيق: عثمان أحمد عنبر. القاهرة: دار الهدى، ط١، ١٩٧٨م.

أبو النصر، محمد عبد العظيم. **الدولة العباسية التاريخ السياسي والحضاري**. د.م: شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٩م.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. **سنن أبي داود**. بيروت: دار الكتاب العربي د.ط، د.ت.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. **فضائل الصحابة**. تحقيق: وصي الله محمد عباس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م.

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي. **جامع بيان العلم وفضله**. تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي. القاهرة: مؤسسة الريان–دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٤م.

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. **الأوائل**. طنطا: دار البشير، ط١، ١٤٠٨هـ.

أحمد بن علي القرني. **الإبداع العلمي دارسة تأصيلية**. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ.

أمين، حسين أحمد. **المائة الأعظم في تاريخ الإسلام**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.

حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن. **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها**. دمشق وبيروت: دار القلم، ط.٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الخازن، علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي. **تفسير الخازن**. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

الخضري بك، محمد. **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية**. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني. **المعجم الكبير**. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت.

شلبي، محمود. **حياة عثمان**. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ.

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.

الصلابي، علي محمد. **الإنشراح ورفع الضّيق في سيرة: أبو بكر الصديق شخصيته وعصره**. القاهرة:دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

الصلابي، علي محمد. **الدولة الأمويّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**. بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٥م.

الصّلاّبي، علي محمد. **سيرة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان شخصيته وعصره**. القاهرة: مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠٠٦م.

الصّلّابي، علي محمد. **عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشد على منهاج النبوة**. مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط.١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

عباس محمود العقاد. **عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم**. بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٦٩م.

عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي الكتاني. **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية**. تحقيق: عبد الله الخالدي. بيروت: دار الأرقم، ط٢، د.ت.

عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. **تاريخ الخلفاء**. تحقيق: حمدي الدمرداش. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ٢٠٠٤م.

عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. **كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل**. القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٣م.

عبد الستار الشيخ. **أبوبكر الصديق أوّل خلفاء الإسلام**. دمشق: دار القلم، ط.١، ١٩٩١م.

عبد الستار الشيخ. **الخلفاء الراشدون حياة ماجدة وأعمال خالدة**. دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٥م.

عبدالعزيز بن عبد الواحد اللمطي المكناسي. **نظم قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار**. سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي(٤٥).

عكاوي، رحاب خضر. **موسوعة عباقرة الإسلام**. بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.

غالب بن عبد الكافي القرشي، **أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء**. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٠م.

المباركفوري، صفي الرحمن. **الرحيق المختوم**. بيروت: دار الهلال، ٢٠١٠م.

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

محمد بن عيسى بن سوْرة بن موسى الترمذي، **سنن الترمذي**. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م.

محمد بن مكرم بن علي ابن منظور. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب، د.ط، د.ت.